استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية في مطلع القرن الحادي والعشرين ومشروع "شرق الاوسط الجديد"

Strategic United States at the beginning of the twentieth century atheist and a "new Middle East project"

م.م سعيد محمد كريم

جامعة كوية

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

Said. mhamad@koyauniversity.org

07507290240

ماجستير في العلوم السياسية قسم العلاقات الاقتصادية الدولية – جامعة النهرين

المقدمة

إن هذا التحول السياسي الكبير في المنطقة ليس الأول من نوعه . فهذه الحقبة الحديثة ترجع في أصولها إلى اكثر من (200) سنة, بداية من عام (1798) مع ضعف الدولة العثمانية. بعدها مرحلة استعمار ما قبل الحرب العالمية الأولى و التي سيطرت عليها كل من بريطانيا و فرنسا. سبق

(لإسرائيل) أن طرحت مثل هذه المشاريع للمنطقة، وكان آخرها، بل أخطرها, رؤية رئيس وزرائها الأسبق (شيمعون بيريز)* في أوائل التسعينيات قرن العشرين لـ(الشرق الأوسط الجديد) التي عنون بها كتابه الشهير (The New Middle East) الذي نُشر في عام (1993)،من مشروع الشرق الاوسط الجديد مع شمعون بيريز، الى مشروع الشرق الاوسط الجديد ، تبقى دول المنطقة عموماً، والدول ذات مكونات المتعددة التى تشكل مصدر تهديد للمصالح الدول الغربية و(اسرائيل) خصوصاً هي الهدف الاساس، وهي المقصودة بالتغيير المطلوب.

هكذا تبدو الساحة الشرق الاوسطية ساحة الاختبار وساحة الصراع الجديد. لا بل وحُدّدت من الولايات المتحدة كأنها العدو البديل عن الاتحاد السوفياتي. والا فما معنى نقل استراتيجيا الاحتواء الاميركية من الاتحاد السوفيتي، الى مزيد من الاحتواء للدول المنطقة ؟ ويكفي هنا ان نرصد الوجود الاميركي العسكري في المنطقة، ونراجع الخطاب الاميركي والحروب التي خِيضت حتى الآن، لنعرف عمق التورّط الاميركي في المنطقة. او بشكل آخر، لنعرف ونعي أهمية المنطقة للاستراتيجيا الاميركية الكبرى، وخصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ووقوع حوادث 11 ايلول عام(2001).

*شمعون بيريز (ولدة في 2 أغسطس 1923)، تولى رئاسة وزراء (إسرائيل) على فترتين، الفترة الأولى من عام 1984 إلى 1986، والفترة الثانية 1995 إلى 1996. رئيس دولة إسرائيل من 15 يوليو 2007 وحتى 24 يوليو 2014. كان يرأس حزب العمل.

الرسالة الاميركية جاءت صريحة وواضحة: الشرق الأوسط الحالي غير مقبول ولم يعد مسموحاً له ان يشكل خطراً على نفسه وعلى الآخرين. والمقصود بالخطر انتاج أجيال تبحث عن جبهة مفتوحة مع الغرب للانفجار فيها أو الانتحار.

إن المشروع الأمريكي هو نسخة منقحة من المشروع الاسرائيلي إذ ان كلا المشروعين يحاولان القفز على المشكلات الاساسية التي تعانيها المنطقة ويكتفيان بوصف الشعارات الجاهزة التي لاتساعد على مواجهة التحديات القاسية ، تلك التحديات التي تشكل المصدر الأساسي لانتشار تيارات التطرف واندلاع موجات العنف وتأخر تنفيذ خطط التنمية. الاشكالية التي ينطلق منها البحث ما هي ملامح الاستراتيجية الامريكية بعد الحرب الباردة ؟ وهل هناك شرق اوسط جديد وآخر قديم؟ والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو:لماذا طرح هذا المشروع الآن؟ هل تضمنت شيئا جديدا لم تشر إليه سلسلة المبادرات الأمريكية العديدة السابقة؟ وهل لها فرصة للتحّول إلى خطة دولية، وبالتحديد إلى مشروع أوروبي أمريكي مشترك؟ وما موقف الحكومات والشعوب المنطقة منها؟ إذ تأتي اهمية هذا البحث في ضوء المستجدات والاحداث الساخنة التي ظهرت وحدثت في منطقة شرق الاوسط منذ 2011 ومابعد.

الفرضية التى ينطلق منها البحث مفادها ما العلاقة بين مشروع "الشرق الأوسط الجديد ", الذي أعلنت الولايات المتحدة, وبين الاستراتيجية الامريكية في بداية العقد الاول من قرن الحادي والعشرين ؟ومن هذا المنطلق ينقسم البحث الى مبحثين

في المبحث الاول نتطرق الى الجذور التاريخية للفكرة ومفهوم شرق الاوسط ,وابعاد السياسية والاقتصادية للمشروع شرق الاوسط الجديد .اما المبحث الثاني نتناول موقف الدول الاوروبية ودورها في هذا المشروع الجديد, ومحاولة الامريكية لاعادة ترتيب منطقة شرق الاوسط بشكل يتناسب مع مصالحها السياسية والاقتصادية والعمل على تحجيم دور كل من الصين وروسيا في المنطقة.

المبحث الاول

أولا:مفهوم

فكرة شرق الاوسط

تعود فكرة ومصطلح الشرق الأوسط إلى بداية القرن العشرين. وكان أول من تطرق الى هذا المصطلح (Middle East) مؤرخ البحرية الأميركية (الأميرال ألفريد ثاير ماهان)* منذ عام (1902). وكان الشرق الأوسط في مفهوم الأميرال ماهان – وقتذاك– يختلف عن الشرق الأوسط في مفهومه الحالي الذي تغيرت معالمه ومجاله الجغرافي عدة مرات حتى استقر الرأي الغربي على صفته الحالية حيث كان يشمل وقتذاك حسب توصيف الأميرال ماهان له ((المنطقة الممتدة من الجزيرة العربية وشواطئها الممتدة على البحر الأحمر إلى الهند) مروراً بالخليج العربي الذي كان يشكل ((مركز الشرق الأوسط)). ويعود اهتمام بريطانيا بالشرق الأوسط كفكرة ومصطلح، بشكل خاص إلى عام (1902). وهذا اهتمام كان يشمل المنطقة الجغرافية التي كانت تعرف باسم (طريق الهند) وهي جغرافياً منطقة اهتمام لبريطانية منذ بداية حملة (نابليون بونابرت) على مصر (1798) التي قصد منها إضافة لاحتلال مصر ومنطقة بلاد الشام ,السيطرة على طريق الهند والحيلولة بين بريطانيا والهند. واستمر التعامل

*ألفريد ثاير ماهان (Alfred Thayer Mahan) (وُلد في 27 من سبتمبر 1840م – وتوفي في الأول من ديسمبر، 1914م)كان ضابط عَلَم في البحرية الأمريكية ووجيوستراتيجي، وكان أيضًا مؤرخًا، وقد أُطلق عليه لقب "الاستراتيجي الأمريكي الأكثر أهمية في القرن التاسع عشر الميلادي

مع مصطلح الشرق الأوسط الذي أصبح يعني في التوصيف البريطاني المعدل لصيغة (ماهان) في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى: ((الجزيرة العربية، والعراق، وإيران، وأفغانستان، وسورية، وفلسطين ومصر)) حتى عام (1916)، عام إبرام معاهدة (سايكس-بيكو)*. وكان ذلك يعني استبدال بريطانيا لمصطلح الشرق الأدنى الذي أطلقته فرنسا منذ نهاية القرن التاسع عشر على المشرق العربي الخاضع للسلطنة العثمانية.[1]

والذي كان يتطابق والاهتمامات السياسية والاستراتيجية الفرنسية في ذلك الوقت انحسر التعاطي البريطاني مع مصطلح الشرق الأوسط بمفهومه الواسع وقتذاك الذي كان يشمل أقطار المشرق العربي وإيران وأفغانستان وحل محله مصطلح (الشرقين الأدنى والأوسط) بحيث أصبح مصطلح الشرق الأدنى (Near East) يطلق على العراق وإيران وأفغانستان. أما مصطلح الشرق الأوسط (Middle East) فأصبح يقصد به الإشارة إلى

* اتفاقية سايكس بيكو عام 1916، كانت تفاهمًا سريًا بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الامبراطورية العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى.تم الوصول إلى هذه الاتفاقية في مفاوضات سرية بين الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس.

[1]- بريطانيا وفكرة شرق الاوسط , حسن عبدالعال(مجلة الفكر السياسي, دمشق, العدد 11, 2001).

تلك المنطقة من المشرق العربي التي كانت تضم مصر سورية ولبنان وفلسطين والجزيرة العربية.[1]

شهدت الوثائق والمطبوعات الرسمية وشبه الرسمية البريطانية تجاهل مصطلح الشرق الأدنى بمفهومه الواسع الذي كان يشير إليه المصطلح الفرنسي(Porche-Orient) والضيق الذي كان يشير إليه المصطلح البريطاني السابق الذكر واستبداله نهائياً بمصطلح الشرق الأوسط (Middle East) بمفهومه الواسع الذي أصبح يضم الأقاليم والدول المكونة سابقاً للشرقين الأدنى والأوسط،نشير ابتداء إلى أن الشرق الأوسط، هو مفهوم جيوسياسي، وأنه ينطلق من وجود مركز لهذا الكون، ليس صدفة أن يكون هذا المركز هو أوروبا. التي أرسلت جيوشها الاستعمارية لمختلف بلدان العالم الثالث تحت شعار تمدين شعوب هذا العالم. وكان الثمن باهظا وقاسيا. ومن منطلق المركزية الأوروبية رأينا العالم تحدد مسمياته في الجغرافيا السياسية تبعا لموقعه من المركز. فهناك شرق أقصى وشرق أوسط وشرق أدنى،ولأن مفهوم الشرق الأوسط هو بطبيعته جيوسياسي، مرتبط باستراتيجيات الدول الاستعمارية في المنطقة، فإن حدوده غير ثابتة، وخاضعة لاستراتيجية الدول العظمى ذات العلاقة، في مرحلة تاريخية محددة. لذلك فإن حدوده قابلة للانكماش والتمدد تبعا لتلك الإستراتيجيات. فعلى سبيل المثال،

[1]– جميل مطر وعلي الدين هلال ,النظام الاقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية ,مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت 1997,ص28-29.

تنتهي حدود الشرق الأوسط غربا أحيانا بمصر، وأحيانا أخر تدخل ليبيا وتونس ضمنها، وجنوبا يكون السودان أحيانا ضمن تلك البلدان، وأحيانا يكون خارجها.. والقول صحيح أيضا بالنسبة لليمن. بالنسبة للحدود الشمالية والشرقية لم يكن هناك خلاف، ولم تحدث متغيرات، وسبب ذلك واضح جدا بالنسبة لأي مراقب يتابع عن كثب تطور الأحلاف والمعاهدات والمشاريع الاستعمارية في المنطقة، التي أخذت مكانها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حتى بدايات هذا القرن ,والواقع أن الإشارة إلى الشرق الأوسط كمنطقة جيوسياسية، وليس كنظام إقليمي، قد برزت أول مرة خلال الحرب العالمية الأولى، أثناء الحديث بين المنتصرين عن تقاسم تركة السلطنة العثمانية . وبعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت صورة الشرق الأوسط، في خارطة صناع القرار البريطانيين والأمريكيين أكثر وضوحا. فقد حسمت علاقة تركيا وباكستان وإيران بالغرب كحلفاء استراتيجيين.

وكانت بداية التسعينيات قرن العشرين مقدمة لانهيارات سياسية واقتصادية وثقافية في منطقة شرق الاوسط. كما كانت مقدمة لتراجع ثوابت دينية ووطنية وأخلاقية ومن رحم حالة الانهيار والتمزق ، بدأت خيوط جديدة في التشكل مشيرة إلى محاولات عاتية وقاسية، لتشكيل نظامي سياسي إقليمي بديل[1].

ثانيا: البعد السياسي

بدأ يشتد الجدل حول ما يجب أن تكون عليه "الاستراتيجية الكبرى" لأمريكا في المستقبل كرد فعل متأخرة على نهاية الحرب الباردة. و"الاستراتيجية الكبرى" ينطوي على مفهوم بسيط: هي عملية توفِّق فيها الدولة بين الأهداف والوسائل في سعيها إلى الأمن. وتشمل الاستراتيجية الكبرى في زمن السلم ,تحديد مصالح الدولة الأمنية؛ وتمييز الأخطار التي تهدد تلك المصالح؛ وتخصيص موارد عسكرية واقتصادية ودبلوماسية للدفاع عن مصالح الدولة.

وبهذه الصورة يتناول الجدل حول الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة العديد من المسائل ما المناطق المهمة لأمن الولايات المتحدة في العالم؟ هل ستنهض دول عظيمة جديدة تهدد المصالح الأمريكية؟ وما التحالفات التي يجب أن تلتزم بها الولايات المتحدة؟ هل للولايات المتحدة مصلحة في "الاستقرار"

[1]– وليد هندو وسعد سعدي , معجم الشرق الاوسط , دار الجيل, بيروت , 1998,ص243–235.

الإقليمي (وفي أية مناطق) وفي الاعتماد الاقتصادي المتبادل؟ ما التوازن المناسب بين التزامات الولايات المتحدة الخارجية واحتياجاتها الداخلية؟ ما القوى العسكرية التي تحتاجها الولايات المتحدة للدفاع عن مصالحها؟[1].

الاستخدام النشط للسلطة والقوة الأمريكية هو أفضل حل وفرصة لتحسين وتطوير أوضاع الشرق الأوسط, فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، تصاغ الاستراتيجية الامريكية بشكل ظاهر بدافع احتواء الاتحاد السوفييتي. وجعلت متطلبات الحرب الباردة سياسة الولايات المتحدة الخارجية واضحة الهدف. ومع نهاية الحرب الباردة، صار من الممكن إعادة النظر في المبادئ الأولى لسياسة الولايات المتحدة الخارجية وإعادة صياغة الدور العالمي لأمريكا من البداية.وبعد انتصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة كان بإمكانها التخلي عن التزاماتها الخارجية ذات الكلفات الباهظة، وتركيز طاقاتها لحل "سلسلة" من القضايا الاجتماعية والاقتصادية الداخلية التي طال إهمالها. لكن هذا لم يحدث[2].

[1]– الانزاق الاستراتيجي الامريكي , خيرالدين عبدالرحمن(مجلة الفكر السياسي , دمشق, العدد 7, 2002)

[2]– حروب الولايات الامريكية الاستباقية , محمد سعيد طالب (مجلة الفكر السياسي , دمشق, العد 18, 2003)

فاليوم لا يصح أن تُفوت الولايات المتحدة فرصة فريدة لإعادة بناء المنطقة حسب مصالحها والتي تمثل أكثر مناطق العالم إضطراباً من الناحية السياسية الاقتصادية والاجتماعية .

توجد فجوة كبيرة بين البلدان المنطقة والمناطق الأخرى على صعيد الحكم القائم على المشاركة, ويضعف هذا النقص في الحرية التنمية البشرية، وهو أحد التجليات الأكثر إيلاما للتخلف في التنمية السياسية لان الديموقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط[1].

وحسب المعايير الغربية وصفت في عام (2003) أربعة بلدان فقط في منطقة شرق الاوسط بأنها حرة جزئياً, ومن بين سبع مناطق في العالم، حصلت البلدان العربية على أدنى درجة في الحرية في أواخر التسعينات قرن العشرين. وأدرجت في اخر السلم قواعد البيانات التي تقيس "التعبير عن الرأي والحرية"[2].

و إن غياب الأسس الحقيقية للحرية في الشرق الأوسط معروفة عن كثب حتى من قبل الآباء المؤسسيين

[1]– احمد صدقي الدجاني (وأخرون) , التحديات "الشرق أوسطية " الجديدة والوطن العربي ,مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ,2000,ص153.

[2]– جورج قرم , العرب "في القرن الحادي والعشرين من فراغ القوة الى قوة التغير" ,دار الطليعة – بيروت ,2011,ص104–107 . وللمزيد راجع : تقرير التنمية البشرية العربية,2002–2003 .

الامـــريكيين.لاحظ (جـــون أدامـــز)* أن الســـلالات الحاكمـــة القديمـــة فـــي الشـــرق الأوســـط كانـــت موبـــوءة" بالجشـــع و الخـــوف", و محكومـــة مـــن قبـــل طغـــاة تعـــاملوا مـــع مـــواطنيهم وكـــانوا يعملـــون علـــى نفـــي المقابـــل وفـــي هـــذا الصـــدد قالـــه (تومـــاس جيفرســـون)* أن الولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة لا تســـتطيع الاعتمـــاد علـــى أي معاهـــدات ســـلام مـــع أي دولـــة فـــي تلـــك المنطقـــة اي شـــرق ألاوســـط. هنـــا تكمـــن فـــي أن تبنـــي المشـــروع لهـــا واعلانهـــا كمبـــادئ اساســـية يتحـــتم تطبيقهـــا حتـــى يرضـــى الغـــرب عـــن شـــعوب المنطقـــة قـــد تكـــون هـــي المـــدخل الـــذي تتســـرب منـــه "الكولونياليـــة الجديـــدة" مـــن خـــلال تـــدخلها فـــي إعـــادة النظـــر فـــي الخارطـــة السياســـية والاجتماعيـــة للمنطقـــة ومنـــاهج التعلـــيم بالـــذات وفـــرض المفهـــوم والاســـلوب الغـــربيين للديموقراطيـــة والحكـــم الصـــالح ومعنـــى الفرديـــة وأبعادهـــا وغيـــر ذلـــك مـــن دون ادنـــى اعتبـــار لمقتضـــيات ثقافـــات واديـــان وقـــيم شـــعوب المنطقـــة. فـــالمهم هـــو صـــوغ هـــذه المجتمعـــات والشـــعوب والثقافـــات بحســـب النمـــوذج الغربـــي الكفيـــل بـــأن يـــرد المنطقـــة الـــى حـــال التهمـــيش التـــي عانـــت

* جون آدامز (1735 – 1826). هو أول من تقلد منصب نائب الرئيس في الولايات المتحدة ما بين الأعوام (1789– 1797). كما أنه تولى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية من عام(1797) إلى عام (1801). وقد كان جون آدامز هو أول رئيس أمريكي يقيم في البيت الأبيض ومارس من خلاله عمله منذ عام (1800).

* توماس جفرسون Thomas Jefferson (1743 –1826)، هو أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، والكاتب الرئيسي لاعلان الاستقلال (1776) وتولى رئاسة للولايات المتحدة الامريكية بين الاعوام (1801–1809). كان متحدث باسم الديمقراطية.

منهـــا طـــويلاً تحـــت الاســـتعمار القـــديم واســـتئناس شـــعوبها وتـــدجينهم عـــن طريـــق اعـــادة تشـــكيل اســـاليب التفكيـــر ودمـــج اقتصـــاداتهم فـــي الاقتصـــاد الغربـــي.من اجـــل ذلـــك اخـــذت دوائـــر صـــنع القـــرار الاميركي على عاتقها اتباع طريقين [1]:

1- اســـتخدام القـــوة العســـكرية والغـــزو والاحـــتلال كمـــا حـــدث فـــي افغانســـتان والعـــراق وهـــو وســـيله تضـــمن اســـقاط الـــنظم المارقـــة بـــالقوة المسلحة وتولية نظم مروضه ومبرمجه وفق ما تراه واشنطن.

2- التهديـــد بـــالتغيير علـــى غـــرار مـــا حـــدث فـــي العقـــد الاول مـــن قـــرن الحادي والعشرين.

نـــرى ان الطريـــق الاول قـــد نجـــح فـــي احـــداث التغييـــر وفـــق الـــنهج الاميركـــي ولكـــن يظـــل مرتبطـــا واقعيـــا باســـتمرار الاحـــتلال العســـكري او استخدام القوة وفشل الطريق الثاني.

فـــي الفتـــرة (2003)، أعلنـــت بلـــدان عـــدة فـــي الشـــرق الأوســـط نيتهـــا إجـــراء انتخابـــات رئاســـية أو برلمانيـــة أو بلديـــة.وعملت المنظمـــات الدوليـــة المتخصصـــة قـــي هـــذا المجـــال تقـــديم مســـاعدات تقنيـــة، عبـــر تبـــادل الزيـــارات أو النـــدوات، لإنشـــاء أو تعزيـــز لجـــان انتخابيـــة مســـتقلة لمراقبـــة الانتخابـــات والاســـتجابة للشـــكاوى وتســـلم

[1]- فنسان الغريب , مأزق الامبراطورية الامريكية , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت, 2011,ص53-57.

التقارير .تقديم مساعدات تقنية لتسجيل الناخبين,كما عملت على زيادة مشاركة المراة في الحياة السياسية والمدنية,

أخذاً في الاعتبار أن القوة الدافعة للإصلاح الحقيقي في الشرق الأوسط الكبير يجب أن تأتي من الداخل، وبما أن افضل الوسائل لتشجيع الإصلاح هي عبر منظمات تمثيلية,و تطوير منظمات فاعلة للمجتمع المدني في المنطقة. وتشجيع حكومات المنطقة على السماح لمنظمات المجتمع المدني، ومن ضمنها المنظمات غير الحكومية الخاصة بحقوق الإنسان ووسائل الإعلام, على أن تعمل بحرية من دون مضايقة أو تقييدات.وفسح المجال للمنظمات المهتمة بالديموقراطية وحقوق الإنسان ووسائل الإعلام وغيرها من المنظمات غير الحكومية في المنطقة.

لكن أخفقت منطقة الشرق الأوسط, التي كانت في وقت مضى مهد الاكتشاف العلمي والمعرفة، إلى حد بعيد، في مواكبة العالم الحالي ذي التوجه المعرفي. وان حوالي (40) في المئة من البالغين أميون,وان عدد العاطلين سوف يبلغ (25) مليونا خلال سنوات معدودة.وبذلك تشكل الفجوة المعرفية التي تعانيها المنطقة ونزف الأدمغة المتواصل تحدياً لآفاق التنمية فيها. ولا يمثل ما تنتجه البلدان العربية من الكتب سوى (1,1) في المائة من الإجمالي العالمي حيث تشكل الكتب الدينية أكثر من (15) في المائة منها. ويهاجر حوالي ربع خريجي الجامعات كل عام.[1]

ثالثا: البعد الاقتصادي

تنطوي استراتيجية الهيمنة على افتراضات متناقضة حول أهمية القوة النسبية. فهذه الاستراتيجية تحاول من جهة زيادة قدرات الولايات المتحدة العسكرية بإدامة دورها كقوة عظيمة مهيمنة في النظام الدولي. ومع ذلك تبقى بُعد الاستراتيجية الاقتصادي بصورة غريبة غير مبالٍ بالمضامين الأمنية لإعادة توزيع القوة الناشئة من الاعتماد الاقتصادي المتبادل في النظام الاقتصادي الدولي. كما أن هذه الاستراتيجية لا تحلُ اللغز الآتي: إذا كان من المسلَّم به أن القوة الاقتصادية هي أساس القوة العسكرية، فكيف تستطيع الولايات المتحدة الاحتفاظ بموقع

[1]– قراة في مشروع شرق الاوسط الكبير ,خيرالله عصار (مجلة الفكر السياسي , دمشق ,العدد 20 ,2004).

الزعامة في النظام السياسي الدولي إذا استمرت قوتها الاقتصادية النسبية في التقهقر؟

وبلغة اقتصادية بحتة يمكن أن يكون للنظام الاقتصادي الدولي المنفتح آثار إيجابية. لكن الاقتصاد لا محلّ له في فراغ سياسي. وللانفتاح الاقتصادي عواقب معاكسة على المستوى الإستراتيجي: فهو يسهم في إعادة توزيع القوة النسبية بين الدول في النظام الدولي ويعجل بها مما يسمح للمنافسين الناهضين باللحاق بالولايات المتحدة بصورة أسرع منها في النظام غير المنفتح. أن الالتزامات الاستراتيجية المبالغ فيها تؤدي أولاً إلى المبالغة في التمدد الإمبريالي، ومن ثمَّ إلى التقهقر النسبي[1].

لكي تحتفظ الدولة بموقع المسيطر يجب أن تنفق مواردها على القوات العسكرية، وتمويل حليفاتها، والمساعدات الخارجية، والنفقات المرتبطة بالحفاظ على الاقتصاد العالمي. وليست نفقات الحماية هذه والنفقات المرتبطة بها استثماراتٍ منتجة؛ بل هي بمثابة استنزاف اقتصادي للدولة المسيطرة. وفي نهاية المطاف يجعل التقهقر في القوة النسبية الدولة الزعيمة في موقع لا تُحسد عليه.

[1] – فنسان الغريب, المصدر السابق ,ص179–182.

فمن هنا على الولايات المتحدة العمل على توسيع الفرص الاقتصادية في المنطقة, هذه السياسة من شأنها أن تؤدي الى "تنمية المنطقة", فالديموقراطية يشكل الاطار الذي تتحقق داخله التنمية, وتجذب راس المال والافراد الذين يتمتعون بمستوى تعليم عالي هم ادوات التنمية, والمبادرة في مجال الاعمال هي ماكينة التنمية. ان الاوضاع الاقتصادية السائدة حاليا في بلدان منطقة شرق الاوسط تعكس الحالة للتخلف الشامل لهذا الجزء من العالم والتدهور الهيكلي [1].

يرجع هذا التخلف والبؤس الى الفساد المستشري بين الانظمة الحاكمة, فان الولايات المتحدة ومعها قوى غربية اخرى طرف متواطيء في عملية الفساد لان اغلب الانظمة الحاكمة يعملون للحساب راس المال الغربي وشركات متعددة الجنسيات .. وبالتالي فهي تتحمل مسئولية كبرى في الانهيار الاقتصادي.

ومن اولى شباك هذة العملية هي عبء المديونية الخارجية الذي ترزح تحته بلدان منطقة شرق الاوسط وخاصة البلدان غير النفطية، وبسبب الفساد والاوضاع السياسية غير المستقرة تستنزف عائدات تلك الدول بنسب قد تصل الى (90) في المئة من دخل الصادرات فلا يتبقى في خزائنها سوى اليسير من اجل تمويل الواردات الضرورية والانفاق على خدمات التعليم والصحة

[1] –غسان العزي, سياسة القوة : مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى , مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق , بيروت ,2000,ص 32–34.

بحدود ادنى ومن ثم لا يبقى شيء لتمويل تنمية المستدامة هذا ان وجد .

ان الدور الاقتصادي الجديد لحكومات بلدان شرق الاوسط ضمن الإستراتيجية الامريكية ومشروع شرق الاوسط الجديد يرتكز على محورين [1] :

1- ان تنفذ هذه الحكومات برامج خصخصة تباع بموجبها مؤسسات القطاع العام الى رؤوس اموال اجنبية مع الغاء كافة قيود حركة النقد الاجنبي تشجيعا لتهريب الارباح.

2- قمع احتجاجات الشعوب ضد نتائج هذه الاجراءات ومن بينها غلاء متصاعد

وطالما تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة، سنشهد زيادة في التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة. سيدخل أكثر من (100) مليون من الشباب سوق العمل بحلول (2020)في بلدان شرق الاوسط، وهناك حاجة لخلق ما لا يقل عن (6) ملايين وظيفة جديدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل.

وتعكس هذه الإحصائيات أن المنطقة تقف عند مفترق طرق. ويمكن أن يستمر الوضع على المسار ذاته، ليضيف كل عام المزيد من الشباب المفتقرين إلى مستويات لائقة من العمل

[1] – صالح ياسر حسن , الاقتصاد السياسي للازمات الاقتصادية في النسق الرأسمالي العالمي , دار الرواد المزدهرة ,بغداد , 2011,ص265.

والتعليم والمحرومين من حقوقهم السياسية. وسيمثل ذلك تهديداً مباشراً لاستقرار المنطقة.

ترتكز الاستراتجية الامريكية في منطقة شرق الاوسط من اجل حماية مصالحها السياسية والاقتصادية على عاملين اساسيين:

أ- وجود ما يمكن ان نسميه اصدقاء مقربين للولايات المتحدة بالمنطقة.

ب- قيام الادارة الاميركية نفسها من خلال اجهزتها بالتغلغل الى المنطقة تحت مزاعم التعاون ومساعدة المجتمعات العربية على النهوض والتنمية في شكل ما يعرف برامج المعونة الاميركية وغيرها من اشكال التدخل المتخفي في شئون المنطقة هذا من الناحية السياسية اما من الناحية الاقتصادية اعادة ترتيب المنطقة حسب مقتضيات مصلحة راس المال وشركات متعددة الجنسيات [1].

وبعد وقوع احداث (11ايلول)سبتمبر(2001) واعتقاد الاميركيين ان العرب والمسلمين وراء هذه الاحداث يمكن القول ان واشنطن لم تعد تثق في قدرة الانظمة السياسية الحاكمة في شرق الاوسط على حماية مصالحها وان تامينها بالخارج امر لم يعد يجدي وحده فما حدث من اعتداءات في سبتمبر كان في داخل الولايات المتحدة ومن هنا تصور الفكر الاميركي ان

[1] – العفيف الأخضر (واخرون) , أحدث الحادي عشر من سبتمبر 2001 , دار الكرمل للنشر والتوزيع , عمان ,2007, ص85-93.

استراتيجية الامن القومي الاميركي يجب ان تستند على احداث تغيير جذري في النظم التي تعتقد انها مسئولة عن عمليات (11ايلول)سبتمبر (2001)[1].

الدولة الاولى تركيا باعتبارها النموذج المسلم ديانه والعلماني سياسة ونمط حياة وان تركيا قد تكون الشكل الافضل لما تريده اميركا من نمط سائد او مثالي لكل دول المنطقة وتحديدا الدول العربية ثم اسرائيل باعتبارها نموذجا غير مسلم يعبر عن لسان حال السياسة الاميركية وتعد الحليف الاستراتيجي لواشنطن بالمنطقة وبالتالي ان وجودها داخل منظومة الشرق الاوسط الجديد سيقطع الطريق على اي محاولات عربية لتعريب واسلمة هذه المنظومة خاصة ان الانظمة العربية وايران هم المقصودون من التغيير وليست تركيا او (إسرائيل).

اما الدولة الثالثة ايران التي تمثل الصداع الدائم لاي ادارة اميركية منذ عام (1979) ومن هنا سوف تتحدد الوسيلة الامثل للتعامل مع ايران لضمها لحظيرة الشرق الاوسط الجديد

وتبقى الدولة الرابعة وهي افغانستان التي لن يختلف اثنان على انها الان آداة طيعة بأيدي الاميركان وان نظامها الحالي يعد النظام المطلوب حسب الرؤية الاميركية وفي الوقت نفسه تأتي افغانستان لتنضم للشرق الاوسط كي يتسع مداه جغرافيا بعد ان اتسع سياسيا وهو امر تعتقد واشنطن انه سيساعد في تنفيذ مشروعها الجديد.

[1] – العفيف الأخضر (واخرون), المصدر السابق ,ص110–112.

مما سبق يتضح ان التغيير المطلوب هو بالدرجة الاولى لتأمين المصالح الاميركية واجتثاث ما تراه واشنطن مصدرا للارهاب ولذلك عملت على طرح افكار ذات جاذبية مثل التنمية الشاملة والرفاهة الاقتصادية وتوفير فرص عمل للعاطلين وتطبيق الديمقراطية والتحرر من حالات القهر والقمع السياسي[1].

وقد جاءت اميركا الى منطقة الشرق الاوسط بكل قوتها السياسية والاقتصادية والعسكريه والثقافية والاجتماعية لتقوم باعادة صياغه للمنطقة من منطلق ان شعوبها على وجه التحديد . لا تتمتع باي اهلية وغير مؤهلة للدخول الى اي عمليات تطوير او تحديث وبالتالي تحتاج لوصي او اوصياء يتولى او يتولون عنها القيام بهذه المهمة.

[1]– قراة في مشروع شرق الاوسط الكبير ,خيرالله عصار,المصدر السابق, ص138.

المبحث الثاني

أولاً: موقع الدول الاوروبية في الاستراتيجية الامريكية و الموقف الاوروبي من المشروع

لا أحد لا في الغرب الأوروبي القديم، ولا في الغرب الأمريكي الجديد يشك بأن لأوروبا مصلحة استراتيجية عُليا في نجاح مشروع الشرق الأوسط. فهذه المنطقة في نهاية المطاف هي الحديقة الخلفية للامبراطورية الأوروبية الناشئة، من الاكيد ان الدول الاوروبية تريد المشاركة في المشروع. فالغياب عنه، قد يعني غياب اوروبا عن اهم منطقة نفوذ لها، اي العالم العربي. علماً ان اوروبا حاليا ذات تأثير قليل وقليل جدا في المنطقة العربية وخصوصا بعد الحرب على العراق. وقد يقع الخلاف بين اميركا واوروبا، في نوع الدور الذي ستعطيه اميركا للقارة العجوز واهميته. اما بالنسبة الى القوى الكبرى الاخرى، فان الدور الياباني في جنوب(العراق)عام (2003) قد يكون اول مؤشر الى توزيع الادوار من اميركا على الحلفاء. هذا عدا عن السماح لليابان بالاستثمار في ايران في حقول النفط، الامر الذي قد يدل ايضا على تحول جذري في العلاقة بين ايران واميركا. وان الاثنين، ينتظران الوقت المناسب لاعلان عودة المياه الى مجاريها. لكن الاكيد ان اميركا ماضية في مشروعها، سواء قبلت اوروبا او رفضت. لان هذا الوضع ليس غريباً على السياسة

الامريكية عندما أعلنت اميركا الحرب على العراق عام (2003) رغما عن إرادة مجلس الامن، واوروبا[1].

هناك فترتان تميزتا بالقطبية الأحادية: في عام (1660) كان يُعترف بأن فرنسا هي القوة العظمى الوحيدة في أوربا. لكن في عام (1713) أقامت إنكلترا والنمسا نفسيهما دولتين عظيمتين في ردٍّ مباشر على قوة فرنسا المتغطرسة. وفي منتصف القرن التاسع عشر انقضت الفترة التي كانت فيها بريطانيا الفيكتورية قطباً أحادياً وهذا بنهوض كل من ألمانيا والولايات المتحدة واليابان إلى وضع الدول العظمى. واليوم المصلحة الاقتصادية هي المحرك الاساسي للاستراتيجية الامريكية وذلك للاسباب التالية[2]:

[1]– فنسان الغريب, المصدر السابق,ص276–277.

[2]– سيد يسين (وآخرون) ,العرب والعولمة ,مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت,1998,ص215–218.

1- يوجد في التراث التجاري الليبرالي افتراض بأنه إذا زاد الازدهار فإن النظام التجاري الدولي المنفتح يقلِّل من خطر الحرب لأن الدول لا ترغب في أن تؤدي الحرب إلى توقّف ازدهارها وتجارتها. ويعود الأصل الفكري لهذه النظرة إلى أفكار (آدم سميث،ونورمان آنجل)*.حيث كتب آنجل عشية الحرب العالمية الأولى نبوءته المشهورة بأنه بسبب الاعتماد الاقتصادي المتبادل يستحيل وقوع حرب أوربية كبيرة.

2- يعتقد صانعو سياسة الولايات المتحدة أن "الدرس" الأساسي المستقى من ثلاثينات هذا القرن هو أن القومية الاقتصادية (سياسة الاكتفاء الذاتي، والكتل التجارية المتنافسة) قد أدت إلى الحكم الاستبدادي والعسكري في ألمانيا واليابان، فكانت، بهذه الصورة، سبباً مهماً لعدم الاستقرار الجيو سياسي. لذلك يعتقدون أن النظام التجاري الدولي المنفتح بعد الحرب سوف يمنع تكرار ما حدث في الثلاثينات.

* **آدم سميث**(ولد في 5 يونيو 1723- توفي في 17 يوليو 1790) فيلسوف أسكتلندي ومن رواد الاقتصاد السياسي. اشتهر بكتابيه الكلاسيكيين: نظرية الشعور الأخلاقي (1759) ، والتحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم (1776)، والذي عرف فيما بعد (ثروة الأمم)، وهو رائعة آدم سميث، وأول عمل يتناول الاقتصاد الحديث ويعتبر سميث هو أب الاقتصاد الحديث.(**نورمان انجل**) اقتصادي وسياسي بريطاني ولد في 1872 – وتوفي في 6 اكتوبر 1967 .

3- يعتقدون أيضاً أن الحرب العالمية الثانية ترجع إلى أسباب اقتصادية. (على سبيل المثال، إلى المنافسة على السيطرة على مناطق الأسواق والمواد الخام). وأن نظام التجارة الدولي يزيل الحاجة إلى الاستيلاء على الاسواق والموارد إذيمنح جميع الدول حق الدخول من دون تمييز بينها[1].

سيساعد الشرق الأوسط الديمقراطي المستقر والمزدهر والآمن على تحّول أوروبا إلى منطقة مكتملة النمو، خاصة إذا ما تم دمج هذه المنطقة الحيوية بالعولمة الرأسمالية عبر البوابة الأوروبية، بينما الشرق الأوسط الديكتاتوري والفقير والمتقّجر، سيجعل المصير الأوروبي نفسه يتأرجح ، ليس فقط بسبب الخطر الإرهابي وأسلحة الدمار الشامل والصواريخ العابرة للقارات، بل أيضا بسبب الزحف الديمغرافي العربي والإسلامي الذي يُمكن أن يغيّر كل التركيبة السكانية الأوروبية.

[1]- سيد يسين (وآخرون) ,العرب والعولمة,المصدر السابق,ص225.

ثانيا: اعادة هيكلة المنطقة ومخاوف السياسة الامريكية من (الصين وروسيا).

تتعرض استراتيجية الهيمنة الى تهديدين رئيسين لمصالح أمريكا المتشابكة وهي ظهور دول عظمى، جديدة، و"تدفق" عدم الاستقرار من مناطق طرفية استراتيجياً إلى مناطق مصلحة استراتيجية مركزية. يمكن أن يكون لظهور دول عظمى جديدة نتيجتان للولايات المتحدة:

أ- يمكن أن تطمع في الزعامة الدول العظيمة الجديدة، وإذا ما نجحت في هذا فسوف تهدد أمن الولايات المتحدة تهديداً جديّاً.

ب- كان بروز دول عظمى جديدة في التاريخ ظاهرة جيوسياسية تهدد الاستقرار.هنا يرد إلى الذهن كيف أن بروز الولايات المتحدة، وألمانيا واليابان كدول عظيمة في أواخر القرن التاسع عشر قد أسهم في حدوث اضطراب دولي بلغ الذروة في الحرب العالمية الثانية[1].

إن معظم العاملين في سياسة الولايات المتحدة الخارجية يعترفون بأنه لا يمكن عمل شيء لمنع بروز الصين دولة عظيمة جديدة لأنها تقع خارج نطاق نفوذ الولايات المتحدة. (لكن يجب أن نلاحظ أنه توجد فئة بين الاستراتيجيين تعتقد بأن على الولايات المتحدة أن تحول بين الصين وبين أن ترتفع إلى

[1]- تاملأت في القرن الامريكي التالي ,عيسى سمعان (مجلة الفكر السياسي , دمشق , العدد 6, 1999).

مصاف الدول العظمى وذلك بالتحريض على الاضطرابات الداخلية فيها، إذا لم ينجح هذا، بشن حرب وقائية عليها.) وقد يكون على الولايات المتحدة أن ترضى ظاهرياً عن نهوض الصين إلى وضع دولة عظمى. لكن في نطاق نفوذ واشنطن يظهر بوضوح أن استراتيجية الهيمنة تهدف إلى منع بروز ألمانيا واليابان كدولتين عظيمتين وهذا بإدخالهما في إطار الأنظمة الأمنية والاقتصادية الخاضعة للولايات المتحدة. ويخشى صانعو سياسة الولايات المتحدة من "إعادة" اليابان وألمانيا أو كليهما إلى حظيرة "القومية Renationalised" يمكن أن يطلق تفاعلَ سلسلة جيوسياسيًّا معاكسًا.إن "العودة إلى حظيرة القومية "Renationalisation" اصطلاح مُربِك يستخدمه محللو السياسة الخارجية لوصف عواقب السماح (لطوكيو وبرلين) بإتباع سياسة خارجية وسياسية عسكرية مستقلتين. أي سياستين لا تعودان محصورتين بممارسة القوة الأمريكية . وهذا الاصطلاح أسلوب مهذب أيضاً كلمة رمزية يستخدمها صانعو السياسة الأمريكية لتجنب قول ما يدور فعلاً في أذهانهم: أي أنهم لا يثقون بأن اليابان وألمانيا ستسلكان سلوكاً مسؤولاً[1].

[1]- غسان العزي, سياسة القوة, المصدر السابق ,ص249-256.

ولمنع وقوع اي حادثة مماثلة لـ11 ايلول على الارض الاميركية لذلك وجب ضرب الارهاب اينما كان، ومنعه من حيازة اسلحة الدمار الشامل منع قيام أي منافس لها على صعيد الدول الكبرى، او قيام اي تكتلات قد تهدّد هيمنتها في المستقبل باختصار تريد اميركا تأمين السلام العالمي عبر الامبراطورية المهيمنة. لذلك، بدأت بتعديلات جذرية على اوضاعها السابقة وفي الابعاد كلها: العسكرية، الاقتصادية والسياسية. ليس فقط في منطقة شرق الاوسط بل على الجبهة الآسيوي مع كل من كوريا الجنوبية، واليابان واوستراليا والتي تشكّل المثلث الاستراتيجي الأهم للولايات المتحدة، وخصوصاً بعد 11 ايلول(2001)، وصعود الصين اقتصادا وبحثها عن دور سياسي على المسرح الدولي. يبدو ان الصين اذ ارادت الاستمرار في النمو، فهي بحاجة الى مزيد من الطاقة، وهي العملة النادرة لديها, فعلى سبيل المثال: تحتل الصين المركز الثاني العالمي في كمية استهلاك الطاقة و يرتفع استهلاك الصين في العام (2025) الى (10,9) ملايين برميل في اليوم، ومن هذه الكمية سوف تستورد الصين حوالى (7,5) ملايين برميل في اليوم. فمن اين ستأتي هذه الكميات الضخمة للمستقبل؟ لذلك تبدو المعركة الحالية والصامتة بين الجبارين كأنها تحاول رسم صورة المستقبل. تحاول الصين حاليا تأمين مصادر الطاقة عبر الضخّ البري، بواسطة انابيب النفط، وذلك عبر دول آسيا الوسطى، وخصوصاً كازاخستان. فهي، اي الصين لا تستطيع السيطرة على الممرات البحرية في ظل عدم توافر بحرية حديثة.

وهي لا تستطيع تحديث قواتها لأن الامر مكلف جدا. وردا على هذا الامر، تعمد الولايات المتحدة الى رشوة كازاخستان عبر مساعدات عسكرية وغيرها، لعدم اعطاء الصين هذا الاتفاق[1].

تفتيت المنطقة العربية وإضعافها مما يسهل على الولايات المتحدة الأمريكية إحكام السيطرة عليها بأسواقها ونفطها(60%من الاحتياطي النفطي المؤكد في العالم و31% من احتياطي الغاز الطبيعي) وإستنزاف قوى تيارات الإسلام السياسي, أو كما يسميها أصحابها بتيارات الصحوة الإسلامية, في صراعات مذهبية داخل المنطقة وبين دولها بدل توجيهها للولايات المتحدة الأمريكية على أراضيها أو للمصالح, إذا عملت الإدارة الأمريكية على إعادة صياغة حدود الشرق الأوسط وفق هذا المشروع أو ما شابهه لنا أن نتوقع بأن المنطقة مقبلة على صراع دموي عنيف[2].

[1]– النفط العربي في الاستراتيجية الامريكية ,دسمير صارم (مجلة الفكر السياسي , دمشق ,العدد18, 2003).

[2]– مقاربة الواقع العربي في ضوء العلاقة بين التنمية والاستقرار , منير الحمش (مجلة المستقبل العربي , بيروت , العدد 353 ,2008).

ثالثا: عصر السياسة الامريكية

في أعقاب انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، فقد أتاح للأميركيين قدرة على التأثير وحرية في التحرك بشكل غير مسبوق،ويطلق البعض على هذه المرحلة تسمية «الشرق الأوسط القديم»، الذي برز فيه العراق كنظام معادٍ لكن ضعيف، وإيران كدولة معادية لامريكا لكن مقسمة وضعيفة نسبياً، في وقت شهدت فيه تلك المرحلة العديد من المظاهر، أبرزها التقلبات في أسعار النفط[1].

ولكن هذا العصر وصلت الى نهايته، بعد أقل من عقدين بفعل عوامل عدة ، فمنها البنيوي ومنها ما هو ذاتياً، حيث جاء اسقاط النظام العراقي وبناء نظام قائم على اساس مذهبي في عام (2003) واثر ذلك استفاقت التوترات المذهبية في هذا البلد، وعلى امتداد الشرق الأوسط بعدما كانت راكدة، حيث اتخذ الإرهابيون قواعد لهم في العراق، وقاموا بتطوير تقنياتهم وتصديرها.

عامل آخر أدى إلى انتهاء العصر الأميركي، وهو فشل الأنظمة العربية التقليدية في مواجهة تنامي الأصولية الإسلامية، حيث فضّل الكثيرون من سكان المنطقة القادة الدينيين، عندما خيّروا بينهم وبين قادة سياسيين فاسدين، فيما انتظر الأميركيون

---

[1]- أعادة صياغة الاستراتيجية الامريكية الكبرى: زعامة في القرن الحادي والعشرين أم توازن قوى, كريستوفر لين ,ترجمة ,اديب يوسف شيش (مجلة الفكر السياسي , دمشق , العدد 4, 1998).

حتى وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول لكي يتأكدوا من أن المجتمعات المغلقة باتت تشكل الحاضنة للأصولية. بات من السهل للأصوليين الحصول على التمويل والأسلحة والمتطوعين، فيما ساهم الإعلام الجديد، بعد انتشار الفضائيات، في تحويل العالم العربي إلى «قرية إقليمية» مسيّسة، حيث بدأت الشاشات تبث مشاهد العنف والدمار, فلا يمكن النظر والتحليل في المشروع الاميركي الجديد، الا عبر البحث والتمعّن، ومعرفة الاستراتيجيا الاميركية الكبرى (Grand Strategy) في النظام العالمي الجديد. وفي هذا الاطار يقول المؤرخ الانكليزي (بول كينيدي)، ان الاستراتيجيات الكبرى يجب ان ترتكز على استراتيجيا للسلم، وعلى استراتيجيا للحرب. اي بمعنى آخر، تقوم استراتيجيا الحرب التي تتبعها الدول الكبرى في الصراعات الدموية، على ما كانت قد اعدّته هذه الدول الكبرى – العظمى، من استراتيجيات أبّان وقت السلم (اي الاستراتيجيا الكبرى ايام السلم). فالسلم عادة، او غياب الحرب، يكون لفترات اطول بكثير من فترات الحرب. لكن واذا وقعت الحرب، فإنه على الدول العظمى ان تستعمل ما كانت قد اعدته ايام السلم. خاضت اميركا الحرب الباردة. خرجت منها تقريباً منتصرة. مُنيت بكارثة 11 ايلول عام (2001)، فقط لانها ارادت استعمال استراتيجيا مرّ عليها الزمن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. أي بمعنى آخر، لم تنفع الاستراتيجيا الكبرى الاميركية التي اعدّتها ايام السلم للقتال في اوروبا وضد السوفيات، لقتال العدو الجديد عندما تطلّب الامر ذلك. وذلك لأن الوضع تغيّر، وتغيّر العدو، وتبدّلت

موازين القوى، واصبح الارهاب تحت الغطاء الديني يشكّل العدو الاول والوحيد وبامتياز[1].

يمكن القول ان اميركا تريد رسم صورة جديدة للعالم تناسبها. وقد ظهر هذا جلياً في استراتيجيا الامن القومي الاميركية، وهي في صدد بناء استراتيجيا كبرى ابان السلم النسبي حالياً تعمد من خلالها الى تثبيت هيمنتها على العالم، وخصوصاً ان كل الظروف الدولية وفي الابعاد كلها، تناسبها بشكل لم يسبق له مثيل. على ان تشكّل هذه الاستراتيجيا ابان السلم العمود الفقري لأي حرب مستقبلية قد تقع. من هنا نلاحظ التغييرات الجذرية الاميركية على صعيد القوات المسلحة، من تسليح، وثورة في الشؤون العسكرية التي تخوضها اميركا في ظل عجز الدول الكبرى الاخرى عن مجاراتها في هذا المجال.

انطلاقاً من هذه الصورة الكبرى، وهذه المقاربة، علينا ان نفهم، او ان نضع ونعي المشروع الاميركي للشرق الاوسط الجديد. فهو جزء من كل. وعلى الرغم من أن الحرب الباردة قد انتهت، لا يزال صانعو السياسة الأمريكيون يرون أن دور أمريكا في أوربا وفي آسيا دور حيوي يقوم على الوجود العسكري الأمريكي في تلك المناطق. ويخشون من أنه إذا اضطرت الولايات المتحدة إلى الانسحاب من أوربا وشرقي آسيا وإلى ترك ألمانيا واليابان للاهتمام بأمنهما الخاص فسوف تنشأ سباقات

[1]- ملامح السياسة الامريكية والمستجدات , عيسى درويش (مجلة الفكر السياسي , دمشق,العدد 11, 2001)

أمن إقليمية. وتكون النتيجة، في أحسن الأحوال، ازدياد التوتر السياسي، الأمر الذي يجعل التعاون الدولي أصعب. وتؤدي "إعادة بعث القوميات"، في أسوأ الأحوال، إلى تقويض الاستقرار الإقليمي وربما قادت إلى الحرب. وفي الحالتين تتعرض مصالح الولايات المتحدة للخطر[1].

[1]- العولمة الناقصة : التفكك الاقليمي والليبرالية السلطوية ف يالشرق الاوسط , يزيد صايغ (دراسات عالمية , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , العدد 28 , 2008).

يزخر تاريخ السياسة الدولية الحديث، والذي يبدأ من (1500)، بأنقاض جيوسياسية لدول راهنت على الزعامة: إمبراطورية هابسبورغ تحت حكم (شارل الخامس)*، فرنسا تحت حكم (لويس الرابع عشر)*،وبريطانيا (الفكتورية)*،وألمانيا (الهتلرية)* .والدرس التاريخي من هذا واضح وضوحاً كافياً: الدول التي تراهن على الزعامة تسقط كلها من دون استثناء[1].

* شارلكان أو كارلوس الخامس هابسبورغ (ولد في 24 فبراير 1500 – توفي في 21 سبتمبر 1558).أحد أعظم الشخصيات في التاريخ الأوروبي،

* لويس الرابع عشر (بالفرنسية: Louis XIV) (ولد في 5 أيلول 1638 – توفي في 1 أيلول 1715). ملك فرنسا منذ 14 أيار 1643 حتى وفاته. وهو أحد أبرز ملوك البوربون, تولى الحكم وهو بسن الخامسة إ

* يشار إلى فترة حكم الملكة فكتوريا (1837 – 1901). المؤرخون يرون العصر الفكتوري هو عصر الثورة الصناعية الاولى في العالم وذروة الامبراطورية البريطانية. حكم الملكة فيكتوريا كان اطول حكم في التاريخ البريطاني.
* أدولف ألويس هتلر (بالألمانية: Adolf Hitler) (20 أبريل 1889 - 30 أبريل 1945) سياسي ألماني نازي، ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف باسم الحزب النازي(مؤسس النازية). حكم ألمانيا في الفترة ما بين عامي 1933 و1945

[1] الامريكيون والعالم – نظرة شاملة على نهاية القرن , جون رايلي ,ترجمة , نافع ايوب (مجلة الفكر السياسي ,دمشق,العدد 7, 1999).

رابعا "الشرق الأوسط الجديد"
حجج ومبررات السياسة الامريكية

للسياسة الامريكية عدد من الحجج المنطقية الجدلية لتمرير هذا مشروع حيثإنّ الحدود الحالية هي حدود رسمهتها كل من بريطانيا و فرنسا بشكل عشوائي في القرن التاسع عشر هي حدود غير عادلة.اضافة الى ذلك إنّ قوس الحدود الأكثر تشابكاً و فوضوية في العالم يكمن في إفريقية و الشرق الأوسط, و إنّ هذه الحدود تعمل على إثارة الحروب و الموت في هذه المنطقة من العالم, و لذلك يجب تغييرها و إعادة رسمها لإعطاء الأقليات المذهبية أو القومية و الإثنية حقوقها المسلوبة.

صحيح أنّه في بعض الحالات, قد تتفاهم مجموعات مختلفة متعددة الأعراق أو الديانات و الإثنيات بحيث تتعايش و تتداخل مع بعضها البعض, لكنّ الغالب إنّ التداخل بالدم أو المعتقد في أماكن أخرى قد لا يكون ناجحاً بقدر الاتحاد الذي يحصل في داخل المجموعة الواحدة, لذلك لا بد من إجراء هذا التغيير في خريطة الشرق الأوسط.فالحدود المرسومة للدول ليست ثابتة على الإطلاق و العديد من الحدود من الكونغو إلى القوقاز مروراً في كوسوفو تتغيّر[1].

إنّ حدود الشرق الأوسط تسبب خللاً وظيفياً داخل الدولة نفسها، و بين الدول بعضها البعض، خاصّة من خلال

[1]- غسان سلامة , المجتمع والدولة في المشرق العربي , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ,1987,ص71-74.

الممارسات ضد الأقليات القومية والدينية والإثنية, أو بسبب التطرف الديني أو القومي والمذهبي, و لذلك يجب إنهاء هذا الأمر.

ومن منظور السياسة الامريكية فان هذا التعديل هو تحقيق عدد من الأهداف الإنسانية و التي تتعلق بالعدل و الديموقراطية و التوازن و أهداف أخرى رئيسية هي[1]:

1- إنهاء الظلم الذي يعاني منه عدد من الأقليات في الشرق الأوسط. و على الرغم من أنّ التعديلات تأخذ بعين الاعتبار مصالح هذه الفئات, إلاّ أنّ هذه التعديلات قد لا تستطيع أن تحقق مصالح أقليات أخرى بالكامل .

2- تأمين تدفق النفط بشكل تام و كامل للغرب دون أي قيود.

إنّ هذا التغيير في الحدود المرسومة حالياً و تعديلها لإيجاد شرق أوسط جديد، لا يمكن أن يتم بسهولة و سرعة، لأن إعادة تصحيح الحدود الدولية يتطلب توافقاً لإرادات الشعوب التي قد تكون مستحيلة في الوقت الراهن, و لضيق الوقت فإنه لابد من سفك الدماء للوصول إلى هذه الغاية و استغلال عامل الوقت لصالح هذه الخطّة.

و مما لا شك فيه أنّ الخطط الأمريكيّة تجاه شرق الأوسط، تعدّدت و تنوّعت على مر التاريخ لتتلاءم مع التغيرات التي تطرأ على المنطقة بين الحين و الآخر, لكنّها في جميع الأحوال و

[1]- فنسان الغريب ,المصدر السابق, ص269-277.

الظروف حافظت على عاملين اثنين أساسيين اعتبرتهما كثوابت في جميع هذه الإستراتيجيات وهما:

أ: حماية أمن إسرائيل و دعمها بأي ثمن.

ب : تأمين النفط منابع و المصالح الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة .

إنّ مسألة التلاعب أو التحكّم بورقة الأقليات و حقوق الإنسان مسألة معروفة قديماً في العرف السياسي الأمريكي الخارجي, , واليوم تقوم على استعمال ورقة الأقليات لزعزعة استقرار و وحدة الدول القائمة في الشرق الأوسط، لاسيما أنّ لهذه الورقة قوّة كبيرة، و قد تؤدي إلى مواجهات عنيفة تتفكك على إثرها الدولة إلى دويلات طائفية و عرقية,لأنّ الدولة في الشرق الأوسط بطبيعتها الحاليّة، و منذ انهيار الدولة العثمانيّة هي دولة قوميّة بالأساس، و تضم عدداً كبيراً و متنوعاً من الأعراق و الطوائف و القوميات مثل: العراق, أفغانستان, السودان, الجزائر, لبنان...الخ [1].

ان إضعاف الدولة القوميّة وضمان عدم التحام هذه الأقليات و الطوائف و الأعراق, و ضمان عدم ذوبانها أو على الأقل انسجامها مع الأغلبية في أي بلد من بلدان الشرق الأوسط, تبقى برميل بارود يمكن تفجيره في الوقت الذي تراه القوى الغربية مناسباً، و بالتالي أمريكا ستكون جاهزة للتدخل في أي مكان و زمان تراه مناسباً في أي بلد من هذه البلدان إذا رأت أنّ ذلك لمصلحتها, و بحجّة الحماية بطبيعة الحال

[1]- غسان سلامة , المجتمع والدولة في المشرق العربي, المصدر السابق ,ص71-74.

الاستنتاجات

أولاً: ستظل الولايات المتحدة متمتعة بنفوذها في المنطقة أكثر من أي قوة أجنبية أخرى، ولكن نفوذها آيل إلى التقلص. ويعكس ذلك التأثير المتنامي لمجموعة من القوى الداخلية والخارجية، والحدود الطبيعية للقوة الأميركية، ونتائج خيارات السياسة الأميركية.

ثانياً:ستواجه الولايات المتحدة المزيد من المنافسة من قبل الصين وروسيا.

ثالثاً: ستصبح إيران إحدى القوتين الأكثر تأثيراً في المنطقة. ومخطئ من يقول إن طهران كانت على شفير تحولات داخلية دراماتيكية. فإيران التي تتمتع بثروة عظيمة، هي الدولة الخارجية الأكثر نفوذاً في المنطقة،والدبلوماسية هي أفضل خيار متوفر لواشنطن. يجب على الحكومة الاميركية أن تفتح محادثات شاملة، كما يجب منح إيران رزمة من الحوافز الاقتصادية، السياسية والامنية.

رابعا: سيستمر «التسلّح» بنمط متسارع, وستنبثق المليشيات، كنتيجة لضعف الدول، خاصة تلك التي تواجه عجزاً في بسط سيادتها وقدرتها على السيطرة.

خامسا: سيبقى الإرهاب، الذي هو بحسب تعريفه الاستعمال المتعمّد للقوة ضد المدنيين في مسعى لتحقيق مآرب سياسية، سيبقى ظاهرة أساسية في المنطقة، وسيظهر في المجتمعات المنقسمة.

سادسا: سيسدّ الإسلام الفراغ السياسي والثقافي السائد في العالم العربي، على نحو مضطرد، وسيشكل مؤسسة لسياسات غالبية سكان المنطقة، ولافكار القومية والاشتراكية أصبحا من الماضي، والديموقراطية تنتمي إلى المستقبل، في أفضل الأحوال، حيث باتت شعاراً، وليست واقعاً. في هذه الأثناء، تتنامى التوترات المذهبية في سائر أنحاء الشرق الأوسط، مخلفة وراءها مشاكل في الدول ذات المجتمعات المنقسمة، مثل العراق والبحرين ولبنان والسعودية.

سابعا: عدم الاعتماد المفرط على القوة العسكرية، فكما تعلّمت الولايات المتحدة من الكلفة الباهظة لحربها في العراق ,فإنّ القوة العسكرية ليست هي العلاج، كما أنّها ليست نافعة على الإطلاق في مواجهة الميليشيات المنظّمة الطليقة والإرهابيين المسلّحين.

ثامنا: عدم الاعتماد الكلي على انبثاق الديموقراطية لتهدئة المنطقة. لان ذلك يتطلب عقود من الزمن. في هذه الاثناء، يجب أن تواصل الولايات المتحدة عملها مع العديد من الحكومات اللاديموقراطية. الديمواقراطية ليست الجواب على الارهاب الاحداث الاخيرة أظهرت حتى هؤلاء الذين يترعرعون في ظل ديموقراطيات ناضجة، كالمملكة المتحدة، ليسوا محصنين ضد الانزلاق في التطرف.

المصادر

أولاً : الكتب.

1- احمد صدقي الدجاني (وأخرون) , التحديات "الشرق أوسطية " الجديدة والوطن العربي ,مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ,2000.

2- العفيف الأخضر (واخرون) , أحدث الحادي عشر من سبتمبر 2001 , دار الكرمل للنشر والتوزيع , عمان ,.2007

3- جورج قرم , العرب "في القرن الحادي والعشرين من فراغ القوة الى قوة التغير" ,دار الطليعة – بيروت ,2011.

4- جميل مطر وعلي الدين هلال ,النظام الاقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية ,مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت 1997.

5- فنسان الغريب , مأزق الامبراطورية الامريكية , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت, .2011

6- سيد يسين (وآخرون) ,العرب والعولمة ,مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت,1998.

7- صالح ياسر حسن , الاقتصاد السياسي للازمات الاقتصادية في النسق الرأسمالي العالمي , دار الرواد المزدهرة ,بغداد , 2011

8- غسان العزي, سياسة القوة : مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى , مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق , بيروت ,2000.

9- غسان سلامة , المجتمع والدولة في المشرق العربي , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ,1987.

10- وليد هندو وسعد سعدي , معجم الشرق الاوسط ,بيروت , دار الجيل ,1998.

ثانياً: المجلات والدوريات.

1- (مجلة الفكر السياسي , دمشق, العدد 4, 1998).

2- (مجلة الفكر السياسي,دمشق ,العدد 7, 1999).

3- (مجلة الفكر السياسي , دمشق , العدد 6, 1999).

4- (مجلة الفكر السياسي, دمشق, العدد 11, 2001).

5- (مجلة الفكر السياسي ,دمشق ,العدد18, 2003).

6- (مجلة الفكر السياسي , دمشق ,العدد 20 ,2004).

7- (مجلة الفكر السياسي , دمشق, العدد 7, 2002).

8- (مجلة المستقبل العربي , بيروت , العدد 353 ,2008)

9- (دراسات عالمية , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , العدد 28 , 2008).

الملخص

تبدو الساحة الشرق الاوسطية ساحة الاختبار وساحة الصراع الجديد. لا بل وحُدّدت من الولايات المتحدة كأنها العدو البديل عن الاتحاد السوفياتي. والا فما معنى نقل استراتيجيا الاحتواء الاميركية من الاتحاد السوفيتي، الى مزيد من الاحتواء للدول المنطقة ؟ ويكفي هنا ان نرصد الوجود الاميركي العسكري في المنطقة، ونراجع الخطاب الاميركي والحروب التي خِيضت حتى الآن، لنعرف عمق التورّط الاميركي في المنطقة. او بشكل آخر، لنعرف ونعي أهمية المنطقة للاستراتيجيا الاميركية الكبرى، وخصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، ووقوع حوادث 11 ايلول عام(2001). إن المشروع الأمريكي هو نسخة منقحة من المشروع الاسرائيلي الذي طرحه (شيمعون بيريز) ودونه في كتابه، حيث ان كلا المشروعين يحاولان القفز على المشكلات الاساسية التي تعانيها المنطقة ويكتفيان بوصف الشعارات الجاهزة التي لاتساعد على مواجهة التحديات القاسية ، تلك التحديات التي تشكل المصدر الأساسي لانتشار تيارات التطرف واندلاع موجات العنف وتأخر تنفيذ خطط التنمية. بالاضافة الى وجود فجوة كبيرة بين البلدان المنطقة والمناطق الأخرى على صعيد الحكم القائم على المشاركة , وانعدام الحرية وضعف التنمية البشرية، وهو أحد التجليات الأكثر إيلاما للتخلف في التنمية السياسية لإن الديموقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط و إن غياب الأسس الحقيقية للحرية في الشرق الأوسط

معروفة عن كثب حتى من قبل الآباء المؤسسيين الامريكيين.لاحظ (جون أدامز) أن السلالات الحاكمة القديمة في الشرق الأوسط كانت موبوءة" بالجشع و الخوف", و محكومة من قبل طغاة تعاملوا مع مواطنيهم وكانوا يعملون على نفي المقابل, وفي هذا الصدد قال (توماس جيفرسون) أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع الاعتماد على أي معاهدات سلام مع أي دولة في تلك المنطقة اي شرق ألاوسط. هنا تكمن في أن تبني المشروع لها واعلانها كمبادئ اساسية يتحتم تطبيقها حتى يرضى الغرب عن شعوب المنطقة قد تكون هي المدخل الذي تتسرب منه "الكولونيالية الجديدة" من خلال تدخلها في إعادة النظر في مناهج التعليم بالذات وفرض المفهوم والاسلوب الغربيين للديموقراطية والحكم الصالح ومعنى الفردية وأبعادها وغير ذلك من دون ادنى اعتبار لمقتضيات ثقافات واديان وقيم شعوب المنطقة. فالمهم هو صوغ هذه المجتمعات والشعوب والثقافات بحسب النموذج الغربي الكفيل بأن يرد المنطقة الى حال التهميش التي عانت منها طويلاً تحت الاستعمار القديم واستئناس شعوبها وتدجينهم عن طريق اعادة تشكيل اساليب التفكير ودمج اقتصاداتهم في الاقتصاد الغربي.وبعد وقوع احداث (11ايلول)سبتمبر(2001) واعتقاد الاميركيين ان العرب والمسلمين وراء هذه الاحداث يمكن القول ان واشنطن لم تعد تثق في قدرة الانظمة السياسية الحاكمة في شرق الاوسط على حماية مصالحها وان تامينها بالخارج امر لم يعد يجدي وحده فما حدث من اعتداءات في سبتمبر كان في داخل الولايات المتحدة ومن

هنا تصور الفكر الاميركي ان استراتيجية الامن القومي الاميركي يجب ان تستند على احداث تغيير جذري في النظم التي تعتقد انها مسئولة عن عمليات (11ايلول)سبتمبر(2001 وقد جاءت اميركا الى منطقة الشرق الاوسط بكل قوتها السياسية والاقتصادية والعسكريه والثقافية والاجتماعية لتقوم باعادة صياغه للمنطقة وحسب مقتضايات مصلحة رأس المال.

Strategic United States at the beginning of the twentieth century atheist and a new Middle East project

Abstract

Middle Eastern arena looks Arena and test new conflict. But it not identified by the United States as the enemy alternative to the Soviet Union. Otherwise, what the meaning of the US strategic containment of the Soviet Union transfer, further containment of the countries in the region? Suffice it here to monitor the US military presence in the region, and we review US rhetoric and wars fought so far, to know the depth of US involvement in the region. Or otherwise, to know and are aware of the importance of the region major US strategic, and especially after the fall of the Soviet Union, and the occurrence of incidents of September 11 (2001). The American project is a revised version of the Israeli project, which put (Shimon Peres) and below it in his book, where both projects are trying to jump on the underlying problems experienced by the region and only ate as ready-made slogans that do not help to face tough challenges, these challenges which constitute the main source of the spread of currents extremism and the outbreak of waves of violence and delayed implementation of development plans. In addition to a large gap between other countries and regions the region at the level of participatory governance, and the

lack of freedom and the weakness of human development, which is one of the most painful of backwardness in political development manifestations because the democracy and freedom are essential for the prosperity of individual initiative, but they Missing to a large extent throughout the Middle East and The absence of the real foundations of freedom in the Middle East closely known even by parents institutional United States (John Adams) That the ancient dynasties in the Middle East was infested with "greed and fear," and ruled by tyrants have dealt with their fellow citizens and they are working to deny the other hand, and in this regard, he said (Thomas Jefferson) that the United States can not rely on any peace treaties with any state in that region any Middle East. Here it is that the adoption of the project and its announcement fundamental as principles must be applied even satisfy the West for the peoples of the region may be the portal that leaky "new colonialism" through its involvement in re-examine in particular the education curriculum and to impose the concept of Western style of democracy, good governance and the meaning of individual dimensions and is so without the slightest regard for the requirements of culture Values, religions and peoples of the region. What is important is the formulation of these communities, peoples and cultures, according to sponsor the Western model that the region is given to the case of marginalization suffered by long under the old colonialism and the

domestication of their people through reshape the ways of thinking and the integration of their economies in the economy Western of events (September 11) (2001) and belief Americans that Arabs and Muslims behind these events can say that Washington no longer trust in the ability of the ruling political regimes in the Middle East to protect its interests and secured abroad is no longer useless alone what happened from attacks in September was in the United States is here to imagine the US thought that US national security strategy should be based on a radical change in the systems that you think it is responsible for operations (September11) (2001 was the United States came to the Middle East with all the political, economic, military, cultural and social strength for the reformulation of the region and by Interest capital interests.